بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني

بحث مقدم من الطالب

نظمي محمود بركة

لنيل درجة الماجستير في الآداب

إشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الهادي زاهر

١٩٩٠م

الإهـــــــداء

* إلى روح أختى وأرواح شهدائنا الأبـــرار ،
* إلى والدى ووالدتـــى اعترافاً بفضلهما ،
* إلى أَخَواتى و إخوتـــى ..سلمان ومحمد وسعيد ،
* إلى زوجتى وأولادى ،

محمود وصلاح الدين وآية وإيمان ،

* إلى كل من ساهم فى إخراج هذا البحث إلى النور ،

إليهم جميعاً أزجى ثمرة هذا الجهـــد ...

نظمى ،

المقدمة

المقدمـــــــــة

كان الشعر الفلسطيني قبل ظهور ابراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود ، أي قبيل الربع الثاني من القرن العشرين ، يُعَدّ شعراً عربياً فحسب ، وقد انصب هذا الشعر على ما لا حصر له من الهموم والموضوعات المختلفة .

ولكن وبما أن القضية الفلسطينية ، التي بدأت بوعد بلفور عام ١٩١٧ ، قد أصبحت كبرى قضايا الأمة العربية ، بل وبمثابة العنوان الملخّص الفريد لمجمل أبعاد وجوانب القضايا القومية العامة ، فقد استعمل مصطلح الشعر الفلسطيني - فيما بعد - ليس بالمعنى الإقليمي للكلمة ، لكن بالنظر إلى المضمون والموضوع في حد ذاته ، فنقطة البداية ترتبط بإبراهيم طوقان وأبي سلمى ، وعبد الرحيم محمود ، الذين تزامنت نشأتهم الشعرية وعطاءاتهم فيها مع البدايات الأولى للانتداب البريطاني ، الذي شَطَر جغرافية الإقليم الفلسطيني عن جسدها الكلي الأوسع ، وعلى أية حال ، لا أعتقد أنه من الأهمية بمكان أن نتوقف طويلا في محاولتنا لتحديد نقطة بداية صارمة وقطعية ، في أي مجال أدبي على الإطلاق ، لأنه في المجال الثقافي ، تتداخل الأجيال كل منها يتسلم الشعلة من يد الآخر ، وبالتالي فاننا نرى أن تلك الطليعة المتقدمة التي تمثلت في ابراهيم طوقان ، وأبي سلمى ، وعبد الرحيم محمود ، هي التي حملت شعلة القضية الفلسطينية شعراً ، إثر وعد بلفور مباشرة ، وميلاد المأساة الفلسطينية .

وقد شهد جيل أولئك الشعراء صراعاً مريـــراً مع المهاجرين اليهـــود وكانت قصائدهم تحث على الجهاد ، وتحـــذر من فداحة الخطر الصهيـــونـى ، وقد اعتمد شعراء تلك المرحلة على النمط التقليـدى للقصيدة العربية ، لأنهم وجـدوا فى ذلك تمسكاً بتراثهم ، ومقاومةً للاحتـــلال ، الذى يحاول طمس كل ماهو عربـى فلسطينى . وقد جـاء اختيارى لموضـــوع (الاتجاه الرومانســـى فـى الشعر الفلسطينى) موضوعـــاً للبحث ، لأنـنى كأحد أبناء الثرى الفلسطينى المقدس ، الذين يحاول العدو اغتيـــال فجر حياتهم ، ولأننى أيضا قرأت معظم ماكتبه الشعراء الفلسطينيون قبل النكبـــة وبعدها ، فوجدت أن الاتجاهـــات الأدبيـــة من كلاسيكية ورومانسية وواقعيـــة ورمزية قد تعايشت فى ظـــل القصيدة الفلسطينيـــة وإن كان لكل فترة من حياة الشعر الفلسطينى مايميزها .

ففى فـــترة ماقبل النكبة ، غلبت الكلاسيكية ، بالرغم من التأثر بـــرواد التجديد فى الشعر العربى خاصة الرومانسيين إذ كانت الرومانسية فى الوطـــن العربـــى فى ذلك الوقت فى قمة ازدهارها ، لكنها وُجِدَت عند الشعـــراء الفلسطينيين كإحساس وجدانى بالطبيعة والمرأة ، وكان الشاعر الفلسطيـــنى يعكس هـذا الإحساس فى قالب كلاسيكـــى ، ولايخلو هذا القالب من مسحـات رومانسيـــة تصدر عن إحساس مرهف بالأحداث التى كانت تقـــع وتمر بالوطـــن الجريـــح .

ثم تأتـــى النكبة ويولد معها جيلها من الناس عامة ، والشعـــراء خاصة ، الذين كانـــوا امتداد طبيعيًا للشعراء السابقين عليهم ، فبوادر النكبة لم تخلق

الرومانسية فى شعر هذه المرحلة لأنهـا كانت موجودة من قبل ، إنما وجّهتهـا بالحماسة الوجدانيـة ، وقد التهب الاتجاه الرومانسى فى شعر مابعد النكبـة ، فمـع نكبـة فلسطين انسكبت مرارة الإنسان الفلسطينى ، فعبّرَ الشعـراء عن ذلك بشكوى حزينـة ، ومن خلال جرح ينزف باستمرار مأساوى مرعب سيـولاً من الكلمات المتمردة الثائرة ، وبالتالـى كانت النزعة الرومانسية فى هذا الشعر تعبر عن حالـة نفسية أخذت تشغل الفلسطينيين عامة والشعراء خاصـة ، فهذه الحالة النفسية نتجت عن النكبات المتتالية وعن تحطم الآمـال والنفسى والتشريد ، إضافـة إلى تناقضات الواقع العربى وقضاياه المعقـدة ، التى بدأت بعد الحربين العالميتين ، والتى امتدت مـع مأساة فلسطيـن فى امتداد كثيـف قاتل ، لتبرز أزمة الوجدان العربى الممزق ، ومايسكـن فى دهاليزه من آلام وآمـال تتجسد بكل حدة وعفويـة ، لتعبر عن مأساتـه وألوان صراعـه .

وقد تناولت بالدراسة الشعر الفلسطينى منذ الربع الثانى من القرن العشرين وحتى منتصـف السبعينيات تقريبا ، وقوفـا على الظاهرة الرومانسية فى هـذا الشعـر ، إذ كانت ظاهرة واضحـة فى تلك الفترة من حياة الشعر الفلسطينى ، وتوقفت عند شعر أواخـر السبعينيات ، لأننى وجـدت أن المذاهب الأدبيـة بتأثيراتها فـى الشعراء الفلسطينيين قد تداخلـت لدرجة يصعب الفصل بينها ، وتحتاج إلى دراسات جـديدة ، وإن كان شعر ماقبل النكبة ـ كماسبقت الإشارة إليـه ـ كلاسيكيا تخالطه أنماط رومانسية ، فقد جاء شعر مابعد النكبـة

رومانسيا ، خاصة في الخمسينيات والستينيات ، إلى أن لامس آفاق الواقعية في السبعينيات ، ثم اشتد نزوع الشعراء الفلسطينيين نحو الواقعية وغيرها ونظرا لتأثرهم بالواقعية الاشتراكية على وجه الخصوص ، والرمزية وغيرها على وجه العموم ، مع وجود الرومانسية أيضا دون غياب أو انقطاع .

وإن موضوع هذه الدراسة لم تسبق دراسته بالمستوى المجدد المباشر الذى التزمتُ به ، ولم يكن البحث في موضوع الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني عملاً سهلاً . ويعود ذلك الى أن الرومانسية قد فُهِمَت على أنها حب وغراميات وأحلام وردية وهروب من الواقع وتشاؤم وانطواء على الذات أي فهم الوجه السلبي لها ، الذى يكاد يخلو منه الشعر الفلسطيني الذى عرف الوجه الإيجابي للرومانسية غالباً ، وهو مايعرف بالرومانسية الثورية التي تنظر إلى المستقبل ، وتمنح أملا للمكبوتين ، لذلك جاء شعر مابعد نكبة ١٩٤٨ رومانسيا ليموسق أغنية الحب والشهادة من خلال ايقاع رومانسي ثائر حزين . وهنا لابد أن أشير الى أن الكتابة عن الشعر الفلسطيني صعبة وشائكة ، نظرًا لصعوبة الحصول على المراجع والمصادر المتناثرة التي سببتها حياة الشتات التي يعيشها الفلسطينيون .

أما الكتب التي اعتمدت عليها فهي ... " دواوين الشعراء المطبوعة والمتوافرة في المكتبات العامة والخاصة ، وأحيانا عن طريق الاتصال بالشعراء ، وذلك عن طريق مقابلات شخصية ، اذ قدم لي عدد منهم دواوينهم المطبوعة والمخطوطة ، كما دارت بيني وبينهم مناقشات حول الشعر الفلسطيني والاتجاهات

الغالبة عليه ، وحول تداخل هذه الاتجاهات وأسباب هذا التداخل. وكذلك اعتمدت على الكتب الأدبية والنقدية .. ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب الاستاذ الدكتور عبد القادر القط " الاتجاه الوجداني " الذي أنار أمامي السبيل ، وكذلك كتاب الدكتور كامل السواعيري وفي مقدمتها كتاب " الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر " ، وان لم يتناول هذا الكتاب جوانب الشعر الفلسطيني الذي ترعرع في ظل الاحتلال.. ولذا لم تشمل دراسته شعراء فلسطين أمثال ـ حنا أبو حنا ، محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، راشد حسين ، سالم جبران .

كذلك كتاب الدكتور عبد الرحمن ياغي (دراسات في شعر الأرض المحتلة ، إذ قدم فيه تعريفاً بالشعراء ، واهتم بالجانب السياسي فقط ، دون الاهتمام بالجانب الفني ، وكذلك كتاب هارون هاشم رشيد " الشعر المقاتل في الأرض المحتلة " اذ سيطر عليه الهدف السياسي والوطني واختفت الدراسة النقدية الفنية والموضوعية . وقد تناول الدكتور عبد الرحمن الكيالي في كتابه " الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين " الشعر الذي كان نتاجاً لنكبة فلسطين .

وكانت هذه الدراسة أقرب الى تاريخ الأدب إذ اهتمت بمضمون الشعر مع إبراز النماذج الدالة عليه ونشرها دون تحليلها ونقدها . وربما كان من المحاولات الجادة في هذا المضمار ، دراسة الدكتور صالح أبو أصبع في كتابه " الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة " دراسة نقدية ، وكذلك كتاب خالد على مصطفى "الشعر الفلسطيني الحديث " ، وكذلك كتاب رجاء النقاش " محمود درويش شاعر الأرض

المحتلة ، اذ قدم لنا الكاتب أحد شعراء الأرض المحتلة إنساناً وشاعراً ، وتمتاز هذه الدراسة بمناقشتها للجوانب الفنية لدى محمود درويش ، وبتحليلها لظاهرة الغموض ، والتصوف والحب والطبيعة والمرأة فى شعره .

وكانت هناك دراسات أيضا لغالى شكرى " أدب المقاومة وطرح فيه أن شعر الأرض المحتلة ليس شعر مقاومة بل معارضة ، وكذلك جانب من كتاب أدونيس "زمن الشعر" الذى نفى عن شعر الأرض المحتلة صفة الثورية ، وكذلك دراسة عباس خضر "أدب المقاومة" ، وكذلك الأدب الجديد والثورة الذى حاول خلاله الرد على أدونيس وغيره .

وقد اعتمدت فى البحث على المكتبات الجامعية — خاصة مكتبة جامعة عين شمس ، والقاهرة ومكتبة الجامعة الأمريكية ، وكذلك مكتبة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر . وكذلك الرسائل الجامعية المخطوطة ، التى لها صلة بالبحث ، ومنها على سبيل المثال — ابراهيم طوقان ، حياته وشعره ، أبو سلمى حياته وشعره ، القضايا القومية فى شعر المرأة الفلسطينية — وهذا بمكتبة الآداب جامعة عين شمس . وكذلك — كمال ناصر حياته وشعره — وشعر الأرض المحتلة دراسة نقدية ، وكذلك رسالة عن شعر المقاومة الفلسطينية بمكتبة الآداب جامعة القاهرة . وكذلك رسالة عن النزعة الانسانية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ، وأخرى عن أدب المرأة الفلسطينية جامعة الأزهر .

وكذلك المجلات فى فلسطين والأقطار العربية خاصة التى تهتم بالأدب كالرسالة ، والمجلة ، والأديب والآداب اللبنانيتين والموقف الأدبى السورية ، وعالم الفكر ، وعالم المعرفة الكويتيتين ، ومجلة شؤون فلسطينية ، والفجر الأدبى وهى تصدر من فلسطين المحتلة .

وقد قمت بتقسيم خطة البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وبابين وخاتمة .

وفى المقدمة تناولت مسيرة الشعر الفلسطينى ، وأسباب اختيارى للبحث ومصادره .

أما التمهيد فقد عرضت فيه للاستعمال اللغوى لمصطلح "رومانسية" ، وكذلك حول مفهوم الرومانسية ، وكذلك نشأة الرومانسية فى الأدب الأوربى ، وكذلك ظهورها فى الأدب العربى ، ووضحنا بعض وجوه الفرق بين الرومانسية الغربية والعربية ، وكذلك عرضت لبعض الأمور التى فُهِمَت خطأ عن الرومانسية . وحاولت أن أقف على الوجه الصحيح للرومانسية بوجهيها الايجابى والسلبى .

وقد أفردت الباب الأول مشتملا على فصلين / الفصل الأول للحديث عن الشعر الفلسطينى قبل النكبة وبعدها ، والدور الذى لعبته الرومانسية فى هذا الشعر .

أما الفصل الثانى فيشتمل على الحديث عن الظواهر الرومانسية العامة فى الشعر الفلسطينى ، وهى ظاهرة الحزن ، وقد عرضت لهذه الظاهرة وشيوعها

فى الشعر العربى الحديث ، وبواعث هذا الشعور فى الشعر الفلسطينى .

أما الظاهرة الرومانسية الثانية فهى ظاهرة الحب وقد عرضت فيها إلى مفهوم الحب عند الرومانسيين ، واختلافه عندهم عن نظائره فى المذاهب الأخرى ، ثم تصوير الشعراء للحب الرومانسى ، ومدى تأثر الشعراء الرومانسيين لأوطانهم ، وكذلك تصوير الرومانسيين الفلسطينيين لفلسطين . وكيف أنهم قد جعلوا من هذه الظاهرة قوة موحدة تربط بين الشاعر والوطن والمرأة والأم والحبيبة بدون حدود ، لأنه لاحدود بينها ، ولأنها جميعا واحدة ، ثم عرضت للبعد الإنسانى فى هذا الحب الرومانسى الفلسطينى ، والذى يدفع الإنسان الفلسطينى بالرغم من مأساته وجراحه وألوان صراعه ، أن يعطى ويحب ويكون خَيِّرًا .

أما الظاهرة الثالثة فهى ظاهرة اللجوء للطبيعة ، وفيه عرضت لموضوع الطبيعة فى شعر الرومانسيين عامة ، ثم فى الشعر الفلسطينى ، وتأثر الشعراء الفلسطينيين بالشعراء الرومانسيين عامة ، وكيفية اختلاف الموقف الفلسطينى من الطبيعة عن الشعراء الفلسطينيين قبل النكبة وبعدها وفقاً لتغير الموقف ، ونمو التجربة عند الشعراء .

أما الظاهرة الرابعة والأخيرة ، فقد عرضت خلالها لموضوع الخيال ودوره كظاهرة بارزة وأساسية فى الشعر الرومانسى ، ولماذا كل هذا الاهتمام بالخيال فى الشعر الرومانسى عامة ، والى أى حد يصدق هذا على الشعر الرومانسى الفلسطينى ، مع توضيح الفرق بين الخيال فى الشعر الرومانسى والشعر الواقعى .

أما البـــاب الثانى من الرسالة فيشـتمل على ثلاثة فصـول :

وفى الفصـل الأول تناولت دراسة الصورة الشعرية وقدمت تعريفًا لهـــا مستندًا إلى آراء النقاد القدامى والمحدثين ، مع تحليل تطبيقـى ، وتوضيـح لهـذه الصـورة الشعرية فى الشعر الرومانسى الفلسطينى ، وكيف أنها كانـــت وليـــدة معاناة ومآسى ، تجاوزت فى بعضها الارتباط بالواقع من أجل خلـــق صـور خيالـــة خلاقة مؤثـرة .

وفى الفصـل الثانى ، درست الإيقاع الموسيقى ، وعرضت لقيمة هـــذا الإيقـاع فى الشعر الشعرى ، مستندا إلى آراء القدامـى والمحدثين . ثم عرضـت لدراسة الوزن فى القصيدة التقليدية والقصيدة الحرة ، ثم تناولت القافية فى الشعر الرومانسى الفلسطينى بأشكالها العمودية والحـــرة .

وفى الفصل الثالـــث ، درست المعجم الشعرى وعرضت لآراء النقـــاد ، ثم درست بناء المعجم الشعرى عند الشعراء الرومانسيين الفلسطينيين ، وكيفيـــة استخدام اللغة الشـعبيـة ومبرر ذلك ، ثم الاقتباس من القرآن الكريـــــم ، وكيـــف كان ذلك ، ثم قمت بعملية إحصـاء للظلمات الرومانسية فى بعض الدواوين الشعرية عند بعض الشعراء الرومانسيين الفلسطينيين .

ولا يفوتـــنى أن أنوه بالفضـــل والشكـر لأستاذى الدكتـــــور عبد الهادى زاهـــر ، الذى تفضـل مشكورًا بالإشراف على هـذه الرسالة ، والذى أفَدْتُ كثيرًا من علمه ونبـــل أخـلاقه .

ويسعدنى — أيضا — أن أتقدم بعميق الشكر وبالغ العرفان الى استاذى الدكتور عبد القادر القط الذى تفضل مشكورا بالموافقة على المشاركة فى مناقشة هذا البحث .

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير الى الأستاذ الدكتور عبد الحميد ابراهيم الذى تحمل تاليف السفر والانتقال من أجل المساهمة فى مناقشة هذا البحث .

واعد الأستاذين الكريمين أن أفيد من ملاحظاتهما وحسن توجيههما وكذلك أقدم شكرى الى الأستاذ الجليل الدكتور يحيى عبد الدايم الذى وجدت فى شخصه الكريم كل معانى الود والتواضع .

جزا الله أساتذتى الكرام عنى أجمل الجزاء ، والشكر لهم كل الشكر جزاء صنيعهم وكفاء نفعهم ...

تمهید